بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن

سورة التغابن مدنية وآياتها ثماني عشرة آية.

[١] يخبر جل وعلا أن جميع ما احتوته السماوات والأرض من ساكن أو متحرك ينزهه سبحانه تنزيهًا مستمرًّا عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، ثم بين سبحانه أن له التصرف الكامل في كل شيء؛ فلا يخرج مخلوق عن ملكه، وله الثناء والمجد والشكر كله في الأولىٰ والأخرىٰ، ثم بين سبحانه أنه قادر علىٰ كل شيء؛ فهو قادر علىٰ الإيجاد والإعدام والإسقام والشفاء، لا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٢] ثم بين جل وعلا أنه هو الذي أوجدكم ومنحكم القدرة علىٰ العمل، وجعل لكم القدرة علىٰ الاختيار؛ فمنكم من اختار الكفر، ولم يشكر نعمة الله عليه، ورفض الطاعة والعبادة، ومنكم من اختار الإيمان؛ فشكر نعمة الله عليه، وعمل بأوامره ونواهيه، وله سبحانه الفضل؛ حيث مكنكم من الاختيارين؛ وكل نفس تختار ما تهوىٰ، ثم بين سبحانه أنه مطلع علىٰ جميع أعمالكم مؤمنكم وكافركم، وأنه سوف يحفظ لكلٍّ حقه، وسيجازي كلًّا بعمله.

[٣] ثم بين جل وعلا أنه خلق السماوات والأرض بحكمته البالغة المتضمنة لمصالح سكانهما الدنيوية والأخروية وللدلالة علىٰ قدرته، ثم أكد مرة أخرىٰ أنه هو الذي خلقكم في أحسن صورة فأحسن خلقكم وصوركم، ثم أخبر أن مرجعكم إليه وحده ليجازيكم علىٰ أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

[٤] ثم أخبر جل وعلا أنه يعلم كل ما في السماوات والأرض لا يخفىٰ عليه شيء في كونه، وأخبر أنه يعلم النوايا والخواطر، وكل ما تخفونه، وأنه سبحانه عليم بما تكنه الضمائر وما تخفيه النفوس من الأسرار والخفايا.

[٥] ثم وبخ جل وعلا هؤلاء المشركين فقال لهم: ألم يبلغكم أيها المشركون خبر الذين كفروا بالله ورسله من الأمم السابقة، التي أصرت علىٰ الكفر والعناد كيف حل بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة ما ينتظرهم من العذاب الشديد المؤلم حقًّا.

[٦] ثم بين جل وعلا سبب هذا التعذيب والدمار الذي حل بهم؛ فأخبر أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات الواضحات الدلالة، والمعجزات المقنعات، ولكنهم استكبروا وقالوا علىٰ سبيل الإنكار: هل يعقل أن يكون الذي يهدينا إلىٰ الحق بشر مثلنا؟!، أي: استعظموا أن يكون الرسول بشرًا، وهذا من تلبيس إبليس عليهم، وإلا فلو كان غير بشر فكيف سيكون أسوة وقدوة؟ وكيف يفهمهم ويفهمونه؟ فكفروا برسولهم وأعرضوا عن الحق اعراضًا كاملًا ولم يقبلوه أبدًا، فاستغنىٰ الله عنهم وعن طاعتهم، ثم بين سبحانه أنه غني عن الخلق أجمعين، وأنه حميد في أقواله وأفعاله وصفاته.

[٧] يخبر جل وعلا عن عناد كفار قريش الذين ادعوا أنهم لن يُبْعَثُوا بعد موتهم؛ فأمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم: اعلموا أيها الناس أن البعث واقع لا محالة، وأقسم بربي لَتُخْرَجُنَّ من قبوركم أحياء، ثم لَتُخْبَرُنَّ بجميع أعمالكم التي عملتموها في حياتكم الدنيا، وسوف تجزون عليها، واعلموا أن بعثكم من قبوركم أحياء سهل ويسير علىٰ الله تحقيقه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

[٨] وإذا عرفتم أيها المشركون هذه الحجج والبراهين، وتذكرتم ما حل بمن سبقكم من الكفار من العقاب؛ فصدقوا بالله ورسوله ﷺ، وآمنوا بهذا القرآن الذي أنزله الله علىٰ نبيه محمد ﷺ، وجعله نورًا تخرجون به من ظلمات الكفر والضلال إلىٰ نور الإسلام والإيمان، واعلموا أن الله لا يخفىٰ عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، وسوف يجازيكم عليها.

[٩] وتذكروا أيها الناس يوم أن يجمع الله الأولين والآخرين للحساب والجزاء في صعيد واحد؛ فاعلموا أن ذلك هو يوم التغابن الذي يظهر فيه غبن العصاة وخسارتهم بسبب تركهم الإيمان؛ فمن جاء في ذلك اليوم مصدقًا بالله ورسوله ﷺ وكتابه، وعمل الأعمال الصالحة؛ فإن الله عز وجل يكفر عنه سيئاته التي اقترفها في الدنيا، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها خلودًا أبديًّا، لا يخرجون منها أبدًا، وذلك هو الفوز الذي لا يعدله فوز أبدًا.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سورة الطلاق

[١٠] أما أولئك الذين جحدوا وحدانية الله وقدرته، وكذبوا بالحجج والبراهين المنزلة علىٰ نبيه محمد ﷺ؛ فأولئك مآلهم جهنم، ماكثين فيها أبدًا، وبئست النار مرجعًا ومستقرًا لهم؛ لأنها جمعت كل سوء وشدة، وشقاء وعذاب.

[١١] واعلموا أن جميع ما أصاب العباد من المصائب في الأبدان والأولاد والأموال والكوارث والزلازل وكل الحوادث التي تحصل في الكون هي بإذن الله وعلمه وإرادته الكونية؛ فمن يؤمن بالله ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه يُهَدِّئُ قلبه، أي: يسكن قلبه فيصبر ويرضىٰ بقضاء الله، ثم بين سبحانه أنه بكل شيء عليم، أي: أنه عالم بالمؤمن والعاصي، والساخط والمطمئن، وعالم بالمصيبة التي حصلت، وهل هي بسبب الذنوب التي ارتكبت أو بأمر آخر؟. وهنا يثبت الله الذين آمنوا ويوطن أفئدتهم لقضاء الله وقدره فيقولون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]، ويقولون: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، أما غير المؤمن فيتضجر ويبكي أو يصرخ، وربما لطم نفسه ومزق ثيابه.

[١٢] ثم حث جل وعلا عباده علىٰ امتثال أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، وذلك بطاعته سبحانه فيما شرع، وطاعة رسوله ﷺ فيما بلَّغ، فإن أعرضتم عن إجابة الرسول ﷺ فيما دعاكم إليه من الإيمان والأعمال الصالحة؛ فليس عليه ضرر؛ لأنه ليس علىٰ الرسول إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغ ﷺ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

[١٣] واعلموا أن الله جل وعلا لا معبود بحق سواه، فهو وحده المستحق للعبادة، وعليكم أن تفوضوا أموركم أيها المؤمنون إليه وتعتمدوا عليه وحده.

[١٤] وهذا نداء من الله جل وعلا لعباده المؤمنين يخبرهم أن من أزواجهم وأولادهم من هو عدو لهم يشغلونهم عن طاعة الله وعن كثير من أمور الخير، فاحذروا أن تطيعوهم وتستجيبوا لهم، وإن تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، ولا تعاقبوهم عليها، وتستروها عليهم، فهو خير لكم، فإن فعلتم ذلك فاعلموا أن الله واسع المغفرة والرحمة لعباده الرحماء.

[١٥] واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار؛ فربما يوقعونكم في الإثم من حيث لا تحتسبون، كما جاء في الحديث: «**إن الولد مبخلة مجبنة**»(١)، مبخلة، أي: يجعله يبخل بالصدقة وغيرها خوفًا أن يجوع ولده، ومجبنة، أي: يجعل الإنسان يجبن عن الجهاد خوفًا علىٰ ولده، والله عنده ثواب عظيم لمن قدم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ علىٰ طاعة غيره؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

[١٦] يأمر جل وعلا عباده المؤمنين بتقواه، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه بحسب الطاقة والجهد، ثم أمرهم بالسمع والطاعة لله ولرسوله في جميع أمورهم، وأمرهم بالإنفاق من مال الله الذي أعطاهم النفقات الشرعية الواجبة والمستحبَّة؛ فإن الإنفاق في سبيل الله خير لكم في الدنيا والآخرة، واعلموا أن من وقاه الله شح نفسه وعافاه من البخل والحرص الشديد علىٰ المال؛ فأولئك هم المفلحون الفائزون فوزًا عظيمًا.

[١٧] ثم حث جل وعلا عباده علىٰ النفقة فأخبر أن من وقاه الله شح نفسه هو الذي ينفق أمواله في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، ومن يفعل ذلك فإنه يستحق الثواب المضاعف، ومغفرة الذنوب، والله سبحانه شكور للمحسنين من عباده، حليم لا يعاجل المقصرين بالعقوبة،؛ بل يمهلهم فربما يحسنون فيدخلهم في رحمته.

[١٨] ثم ختم جل وعلا السورة بالإخبار أنه سبحانه هو الذي يعلم ما غاب عن العباد، وما يشاهدونه، وهو العزيز الغالب، الذي قهر كل شيء، الحكيم في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء في مواضعها سبحانه وتعالىٰ، جلَّ في عُلاه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٥٦٢)، وابن ماجه (٣٦٦٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.